

الجامعة المستنصرية/كلية الآداب-قسم التاريخ

محاضرات التاريخ السياسي للعصور الوسطى الاوربية/ المرحلة

الأولى-الفصل الدراسي 2018-2019

مدرس المادة: د. ثامر مكي علي

المحاضرة الثالثة عشر/

- شارلمان يتوج امبراطورا:

لم تحقق اية شخصية في أوروبا من انجازات بقدر ما حققه شارلمان منذ عهد اوغسطس فقد ضمت امبراطورية الشعوب الجرمانية كلها تقريباً وامتدت حدودها فشملت اقطارا كثيرة بل انها صارت اوسع من القسم الغربي للامبراطورية الرومانية حتى عندما كانت في اوج - عظمتها واتساعها. وكانت علاقته مع الكنيسة جيدة للغاية بل ان البابوية لم تتكر على شارلمان سيادته وحمايته لها. وفي عام 799 كان وضع الباب ليو الثالث حرجاً ودقيقاً للغاية نتيجة تمرد اقطاب الكنيسة في روما عليه واتهامهم اياه بسوء الخلق والفساد. ولجأ البابا إلى شارلمان طالباً العون والتأييد. وقام شارلمان بزيارة روما. وفي يوم الاحتفال بعيد الميلاد عام 800 وفي كنيسة القديس بطرس، وبينما كان شارلمان راکعاً امام المذبح ويحاول النهوض تقدم منه البابا ووضع التاج على رأسه ودعا له بالنسر والتوفيق كامبارطور للرومان ، ويقال ان شارلمان نفسه فوجئ بهذا الشيء/ بل ان مؤرخه اينهارت كتب يقول لو ان شارلمان كان على علم بما كان يخبئه له البابا ليو الثالث لما دخل الكنيسة ذلك اليوم ، ولما شهد الاحتفال بعيد الميلاد هناك.

على اية حال ، فإن لعملية التتويج هذه اهمية خاصة. فللمرة الأولى يتوج - ملك جرمانى امبراطورا. فمملكة الفرنجة الان من الناحية النظرية امبراطورية رومانية غربية وان دل الامر على شيء فانما يدل على ان فكرة أوروبا موحدة ومنتظمة كلها بكيان سياسى تحت زعامة روما لاتزال حية وقوية. ومن الناحية العملية، فقد كانت هذه موحدة

فعلا قبل التتويج، ولم يأت التتويج بشيء جديد، فقد وحدها شارلمان واسلافه من الملوك الفرنجة. ولكن المعاصرين اعطوا للحادث أهمية خاصة ونظروا إلى الأمر على أنه عودة - إلى العصر الذهبي، عصر الإمبراطورية الرومانية .

ويمكن القول ان عملية التتويج ان لم تكن دليلاً على نجاح عملية الصهر للعناصر الجرمانية والرومانية في مجتمع الغرب الجديد، فانها على أي تقدير رمزاً ومظهراً مهم لذلك الصهر، الذي هو في طريقه الان إلى التكامل، بعد ان قطع شوطاً بعيداً وان عملية التتويج لم تكن البداية له على اية حال.

ان امبراطورية جديدة من نوع ما ظهرت في عام 800. وقد استمر هذا النوع من التنظيم السياسي في أوروبا بهذا الشكل أو ذاك، دون انقطاع، حتى عام 1808، عندما الغاه نابليون بونابرت. انها امبراطورية ظهرت برعاية الكنيسة وببركات البابوية. ولم يكن لظهورها أهمية مباشرة على العلاقة بين الكنيسة والسلطة الزمنية الحاكمة. فوجود شارلمان القدير المهيمن لم يدع مجالاً للبابوية للاستفادة من هذه السابقة، ومن اقامة اية ادعاءات عليها. ولكن المستقبل كشف عن جوانب لم تكن لتخطر ببال المعاصرين فقد اتخذ البابوات من عملية التتويج هذه ذريعة لادعاء السيادة والسلطة فهم الذين خلقوا الإمبراطورية وهم الذين وضعوا التاج على رأس أول امبراطور بل هم الذين حولوا التاج من رأس الإمبراطور البيزنطي في الشرق إلى رأس ملك الفرنجة في الغرب. وانهم بهذا اعلى مقاماً من الاباطرة. ولايمكن ان يكون هناك امبراطور وامبراطورية دون رضى البابا وبركاته وتأيبده ، بل وتتويجه.

لقد صار الان زعيما للمجتمع الأوربي احدهما ديني وهو البابا وثنانيهما دنيوي أو علماني وهو الإمبراطور. وسيأتي الوقت الذي تسفك فيه الدماء وتهدر فيه الجهود لتقرير ايهما اسمى منزلة من الاخر. ومثل هذا لم يكن يخطر ببال احد في عهد شارلمان. فلعب الإمبراطور الذي اعطاه شرعية السيادة على روماس لايعدو ان يكون تأكيداً للسلطة التي كان يملكها شارلمان فعلا ويمارسها . اما بالنسبة لسكان مملكة الفرنجة والجرمان عامة فلم يكن لمثل هذا اللقب اهمية كبيرة.

كان شارلمان حذراً في علاقاته مع البيزنطيين، ولم يكن يرغب في استفزازهم بسبب اللقب الامبراطوري. وربما كان من الأسباب التي دفعت البابا ليو الثالث منح لقب الإمبراطور إلى شارلمان هو رغبته في التخلص من اثر اية سيطرة بيزنطية وبالنسبة للبيزنطيين، فان الإمبراطور الوحيد للمسيحيين هو ذلك الذي ي القسطنطينية فهو لا يزال يدعي انه حاكم الشرق والغرب، كأن لم يكن قد حدث شيء خلال كل تلك القرون، ان اقدام الباب على منح شارلمان لقب الإمبراطور وقبول الاخير له يجعل من الاثنين متمردين على سلطته الشرعية. ولفترة من الزمن كانت هناك مخاوف من ان شارلمان سيزحف على القسطنطينية لخلع الإمبراطور هناك وتوحيد الإمبراطورية. ويبدو انه لم يكن لتلك المخاوف من مبرر، بل ان شارلمان فكر بمشروع آخر لتحقيق الوحدة بين الشرق والغرب. لقد كانت ايرين هي الامبراطورة في القسطنطينية فاراد شارلمان الزواج منها وبهذا يتم توحيد الإمبراطورية واللقب معا. وقد يكون هذا هو البعث الحقيقي للامبراطورية القديمة.

وكانت ايرين راغبة في مثل هذا المشروع، ولكن عزلها ونفيها عام 802 حال دون ذلك وقد تطلب الامر من المفاوضات الشاقة والحروب المريرة كي تعترف القسطنطينية باللقب الامبراطوري لشارلمان واخيراً اعترف الإمبراطور ميخائيل الأول بلقب شارل الامبراطوري في عام 812، وما كانت القسطنطينية في الواقع لتوافق على ذلك ، لولا المشكلات الكثيرة التي كانت تواجهها في ذلك الوقت ، ولولا الهزائم الدامية التي اصابتها على يد البلغار ووضع ذلك الاعتراف موضع التنفيذ عندما خاطب السفراء، الذين بعثهم ميخائيل الأول إلى آخن لمقابلة شارلمان بصفته امبراطورا وملكا وهكذا رجع الوضع إلى ما كان عليه في اواخر ايام الإمبراطورية الرومانية بل إلى عام 395 على وجه التحديد عندما توفي ثيودوسيوس وكانت هناك امبراطورية واحدة وامبراطوران ولعل هذا يوضح مفهوم الإمبراطورية السائد في الشرق والغرب في القرن التاسع. كما يوضح ايضاً ان روما لم تفقد اسمها السحري، ولا تزال تمثل الكيان السياسي

المثالي الذي يضم العالم المسيحي برمته أو في الأقل العالم المسيحي الغربي. ولعل هذا هو المغزى المهم لتتويج شارلمان امبراطورا .

لقد كان لشارلمان مفهوم ثيوقراطي وضاح للدولة. انها دولة تستند حكومتها إلى سنة سماوية وتسترشد قيادتها بالهام من الله انه الممثل المختار لله لتحقيق اهداف الهية، وان تتويجه من قبل البابا يضيف على منصبه الطابع المقدس. وفي قوانينه لم يفرق شارلمان بين القوانين الدينية والدنيوية فهذه كلها امور حكومية. ان الملك هو الحاكم المسؤول عن حكم جميع المسيحيين. انه المسؤول عن كل شأن من شؤونهم الدنيوية والدينية، وهو مشرع لهم في كل الامور دون استثناء فهو أملى على البابا كل امر من الامور الدينية والدنيوية، بل انه املى عليه امورا هي في صميم العقيدة الكاثوليكية واملى على الاساقفة والقسس ما يقدمون من مواظ، بل املى على المنشدين المرتلين في الكنيسة ينشدون. ولقد كان مؤمناً بضرورة ابعاد رجال الدين ابعادا تاما عن مجال القضايا الدنيوية والسياسية. مع مراعاة ضمان احتجاجات الكنيسة. وقد جعل دفع العشور لها امراً اجبارياً.